الفصل الأول

التدين ودور التربية الدينية الإسلامية فى تنميته

١- مفهوم الدين وأهميته .
٢- من مظاهر التدين لدى الشعوب .
٣- خصائص الدين الإسلامى .
٤- دور التربية الدينية الإسلامية فى تنمية التدين لدى الأفراد .

تمهيد

يتناول الفصل مفهوم الدين باعتباره فطرة وغريزة لدى الإنسان ، وربطه بمفهوم التدين ، وخصائصه لدى الفرد ولدى الجماعة ولدى الأمة ، ودور مناهج التربية الدينية الإسلامية بالتعليم العام في مواجهة التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة لتكوين مفهوم التدين الصحيح لدى المتعلم معرفة ، وسلوكا ، ووجدانا .

أولا : مفهوم الدين وأهميته

مادة الدين « دان » يقصد به المُلْكُ والتصرفُ والقضاءُ كقوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة:٤) ، وقد يشير إلى الطاعة والخضوع والعبادة أو مذهبًا ونسقًا فكريًا ، وقد اشتقت كلمة الدين الإنجليزية (Religion) من الفعل اللاتينى (Religere) وهى تعنى العبادة المصحوبة بالخشية والرهبة والاحترام .

يعرف الدين بتعريفات عدة ، فيعرفه أهل اللغة والمعاني بأن الدِّينَ : اسم والجمع : أَدْيُنٌ ، وديونٌ ، وأَديان ، وله معان كثيرة منها : (الدِّيانة ، واسمٌ لجميع ما يُعبد به الله ، وهو المِلَّة ، وهو الإسلامُ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩) ، وهو الاعتقادُ بالجَنَان والإقرارُ باللسان وعملُ الجوارح بالأركان ، وهو السِّيرةُ ، وهو العادةُ كما في حديث المصطفى ﷺ : (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) ، وهو الحالُ والشأْنُ ، وهو الوَرَعُ ، وهو الحسابُ ، وهو المُلْكُ ، وهو السُّلطانُ ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ (يوسف:٧٦) ، وهو الحُكمُ ، وهو القضاءُ ، وهو التدبيرُ ، ويقال

قومٌ دِينٌ : أَي دائنون مصدر دانَ بأكمل دينَه ، ويقال أكمل نِصفَ دِينه : تزوَّج ، ويقال الدِّين الحنيف : المستقيم الذي لا عِوجَ فيه وهو الإسلام ، ويقال رَجُل الدِّين : عالم الدِّين ، المتخصِّص في الدِّراسات الدِّينيّة ، وهو يومُ الدِّين : يوم الجزاء والحساب في الآخرة ، يوم القيامة ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة:٤) ، ويطلق لوصف علم الأديان المقارن : المعني بالدراسة الموضوعيّة للأديان جميعها من أجل فهم دورها في الحياة الإنسانيّة الأَدْيانُ السَّماوِيَّةُ : اليَهودِيَّةُ والْمَسيحِيَّةُ والإِسْلامُ .

ويعرفه المشتغلون بالعلوم الإسلامية بأنه خضوع على وجه ما لشيء ما تقديسا وتقربا إليه ، سواء كان على سبيل الوضع أو على سبيل الوحي .

وقد ذُكِر في الموسوعة الإسلامية العامة الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، أن «الدين» لفظ لم تخل منه لغة من اللغات بمدلولها الذي يعني التدَين ، والتدين فطرة ، وقد تعددت دلالات لفظ الدين بتعدد الأمم ، وإن وجد مشترك بينها في الغاية ، والعرب عرفت الدين بمدلولات عديدة ، منها :

فالدين يعني : الطاعة ، وهو أصل المعنى ، ودنت له؛ أي أطعته ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٩٣)، وفي آية أخرى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال:٣٩) ، أي الخضوع له وحده دون سواه ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة:٢٥١) ، ومنه قول عمرو ابن كلثوم في الجاهلية :

وأيامًا لنا غُرًا كرامًا ... عصَينَا الملك فيها أنْ ندينا

ويعرفه المشتغلون بالفسلفة بأنه الصوت الذى يحكم سلوك الأفراد ويتسم بخاصية النفاذ إلى داخل النفس ، كما أنه قوة روحية لازمة لصحة الإنسان ، ... وأنه يزود الفرد بنسق من القيم والمبادئ والمعايير والمحكات الاجتماعية التى تحقق له التكيف مع من حوله ، كما تزوده برؤية عالم آخر غير محسوس فوق هذا العالم فيه الخلاص والرحمة .

ويعرفه المشتغلون بعلم النفس بأنه بمثابة الإطار المرجعى المعيارى الذى يلجأ إليه الفرد فى سعيه لمواجهة مختلف صور الصراع ، سواء كان هذا الصراع داخليا ، أو يتصل بأشخاص آخرين مما يجعل الدين يحقق للفرد توازنه الداخلى والخارجى من خلال صراعه الدائم مع نفسه والمجتمع والكون[1].

والتدين فطرة متأصلة فى تكوين البشر ، وسمة من سمات التجمعات البشرية على مر العصور ، حيث لا يوجد مجتمع من المجتمعات المتحضرة أو البدائية إلا ويؤمن بقوة غيبية تسيطر عليه وعلى الكون من حوله ، ويشعر بأن هذه القوة هى المسئولة عما يحدث فى هذا الكون الفسيح؛ ومن ثَمَّ فهو يشعر أمامها بالفضل ، ويحس تجاهها بالعجز ، لأنها تستولى على مشاعره ، وتتحكم فى حياته ، لذلك فهو يخشاها ويرهبها ويتقرب إليها بالعبادة والطاعة .

والتدين فى جوهره ما هو إلا محاولة تفسير علاقة الإنسان بالوجود من حوله ومعرفة مكانه منه ، والوصول إلى إجابات مقنعة لأسئلة تحيره ، يقول « بارتلمى سانت هيليبر » : هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا نحو التفكير فى : ما العلم؟ ما الإنسان؟ ومن أين جاءا؟ ومن صنعهما؟ ومن يديرهما؟

---

١١) رشاد عبد العزيز موسى : سيكولوجية التدين فى : علم نفس الدعوة بين النظرية والتطبيق ، ص٤٣٥، ٤٣٦ الإسكندرية : المكتب العلمى للكمبيوتر والنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩م . .

وكيف بدءا؟ وكيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ . . إلخ . وهذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدةً أو رديئةً ، مقبولةً أو سخيفةً ، ثابتةً أو متحولة .

يقول «هنرى برجسون» : لقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير دين .

وفى معجم «لاروس» : إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وأن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة «التدين» هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية . إن هذه الغريزة الدينية لا تختفى بل تضعف ولا تذبل إلا فى فترات الإسراف فى الحضارة ، وعند قليل جدا من الأفراد .

ويؤكد هذا المعنى «محمد فريد وجدى» فى دائرة المعارف حيث يقول : نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ، ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل الجمال والقبح ، وستزداد فيه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

ويقول «أرنست ريان» : يمكن أن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحى التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان هذا المذهب الدينى[1] .

ثانيا : من مظاهر التدين لدى الشعوب

اتضح أن كلمة الدِّين تعني الجانب الروحى والعقائدى والقيمي من حيث إنه علاقة تشير إلى التدين بين طرفين ينظم أحدهما الآخر ، ويخضع له

(١) رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، ص ٧-٩ بتصرف القاهرة : دار ثابت ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

فإذا وصف بها الطرف الأول ـ العابد ـ كانت خضوعًا وانقيادًا ، وإذا وصف به الطرف الثانى ـ المعبود ـ كانت أمرًا وسلطانًا ، وإذا نظرنا إليها من خلال الرابطة التى تجمع بين الطرفين كانت الميثاق المنظم لتلك العلاقة .

وباستقراء التاريخ نجد تعدد مظاهر «التدين» لدى الشعوب والأمم المختلفة فمجتمع السوموريين وجد سعادته فى عبادة «آنو» ، والبابليين وجدوا سعادتهم فى عبادة «بعل» ، والمصريين فى عبادة «رع» و«أزوريس»، والفنيقيين فى عبادة «أورنلس» ، والفُرس فى عبادة «أورموزدا» والهُنود فى عبادة «براهما» والصينيين فى عبادة «يتشانج» ، «وشانج لى» ، والمكسيكيين فى عبادة «تشلى بوشلى»[1].

والإنسان على مر التاريخ ارتبط فى تدينه بالمحسوس وغير المحسوس ، والعاقل وغير العاقل ، فهو قد عبد الطبيعة بما فيها من نجوم وكواكب وجبال وكائنات ناطقة وغير ناطقة . وكان للتدين أثره الواضح على المجتمعات المختلفة ، وانعكس ذلك على حياتهم ومعيشتهم . ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ما يلي :

- ما سجله التاريخ من أن كهنة مدينة الشمس من القدماء المصريين ذهبوا إلى القول بأن هناك عددًا كثيرا من الآلهة ، يتألف من مجلس رئاسة علوى ، يضم ثمانية آلهة كبار ورئيسهم الأعظم «رع» إله الشمس .
- كذلك سيطرت فكرة تقديس الإنسان لدى الهنود حيث كانت البراهمانية على وجه التحديد يقدسون رجال الدين وينزلونهم منزلة تقديس «براهما» ، وكانوا يلقبونهم بالآلهة الإنسانيين ، ومن ثَمَّ إكرامهم فى مقدمة أنواع العبادات أما إهانتهم وإساءتهم من كبريات الجرائم فى المجتمع الهندى .

---

(١) مصطفى عبد الحليم الجندى : الإنسان بين عالمية التدين وفطرية التوحيد ص ٤٤ : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مجلة منبر الإسلام ، العدد ٤ ، السنة ٤٣ ، يناير ١٩٨٥م .

- أما الفارسيون فقد كانوا يعتقدون فى وجود إلهين : إله الخير «أهورمازدا» أو «هورمورز» وإله الشر أو الكاذب أو الردىء الذى أطلقوا عليه «أهرمان» وقد حظى إله الخير بمكانة سامية لدى الفارسيين واعتقدوا بأنه هو الذى خلق الكون ، أما أهرمان فلم يكن له عمل إلا شبه ظل من الشر لكل خير يخلقه أهورمازدا،وهو إن كان أزليا مثل «مازدا» لأنه توأم ردىء، إلا أنه ليس أبديا مثله ، إذ يفنى عندما يتغلب الخير على الشر فيمحوه من الوجود .

- والمصريون القدماء بلغوا أرقى غايات الفن والعمارة فى تشييد وبناء المعابد والقبور التى نقشوا عليها رسومًا دينية تدل على تأثرهم بحياة البعث والحساب ، بالإضافة إلى اعتقادهم بأن الروح تعود إلى الجسد مرة أخرى بعد الموت ، ولهذا كانوا يتركون فتحةً فى بناء المقابر اعتقادًا منهم بأن الروح سوف تعود إلى الجسم مرة أخرى ، ولابد من مكان بسيط تمر منه فى حالة الذهاب والإياب ، ولابد من وجود الجسم فى حالة سليمة ، لذلك فكروا فى التحنيط وبرعوا فيه .

- وتأثرت حياة البوذيين بفكرة الخلاص المتمثلة فى التخلى عن كافة اللذائذ والتأمل فى أسرار الكون . وكان طريقهم فى ذلك هو المغالاة الشديدة فى العبادة وخاصة الزهد حتى إن الواحد منهم ليجلس على شاطئ أحد الغدران (الأنهار) عدة أعوامٍ طويلة دون أن يغادر مكانه حتى ينتزعها نهائيا من دنس المادة[1].

- كما شاع بين الفارسيين عبادة بعض الحيوانات وتحريم قتلها أو إيذائها وفرض عقوبةٍ لمن يفعل ذلك تصل أحيانًا إلى الضرب بالعصا عدة آلاف

(١) على معبد فرغلى : لمحات فى نشأة الفكر وتطوره عند العرب والمصريين والهنود ، ص ١٩٣ القاهرة : دار الكتاب الجامعى ١٩٨٤م .

ضربة ، كما كان من عقائدهم عرض الجسد بعد الممات وتقطيعه حتى يطهر .

- وتميزت عقيدة الصينيين بالمغالاة فى تقديس الأجداد إلى حد لم يعرف له نظير عند الأمم الغابرة لدرجة أنهم قدموا عبادتها على عبادة أرواح السماء ، وقد حافظوا على ذلك طوال عصور طويلة ، بالإضافة إلى تميزها بشىء آخر ، هو الإغراق فى تقديس الأرض وعبادتها حتى كانوا يطلقون عليها اسم « القوة المحسنة » التى تتسلم البذور لتردها ثمارا مضاعفة[1] .
- ولما احتاج البشر إلى من يهديهم سواء السبيل فى البحث عن الإله ، ويرشدهم بحقيقة الوجود من حولهم أرسل إليهم الرسل ، تؤدى هذا الدور ، وتوجه البشر إلى عبادة الله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٢٥) ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل:٣٦) ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (الزخرف:٤٥) ، فكانت دعوة الأنبياء جميعا واحدة على مر العصور غايتها عبادة الله وحده لا شريك له ، تدعمها الفطرة الدينية التى فطر الله الناس عليها ، ففي سورة واحدة وهي سورة الشعراء يعرض القرآن الكريم لدعوات الأنبياء والرسل ، موسى (الآيات : ١٠-٦٨) ، وإبراهيم (الآيات : ٦٩-١٠٤) ، نوح (الآيات : ١٠٥-١٢٢) ، وهود (الآيات : ١٢٣-١٤٠) ، وصالح (الآيات : ١٤١-١٥٩) ، ولوط (الآيات : ١٦٠-١٧٥) ، ونبي الله شعيب (الآيات : ١٧٦-١٩١) ، وحديث عن نزول القرآن الكريم ودعوة الرسول (الآيات : ١٩٢-٢٢٧) .

---

(١) على معبد فرغلى : الجانب الفلسفى عند الأمتين الفارسية والصينية ، ص٣٧ القاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٤م .

وقد اختلفت تعليلات الفلاسفة والمفكرين المهتمين بتحليل ظاهرة التدين وتطورها لدى الشعوب ، وقد اشتطوا فى تفسير هذه الظاهرة إلى تأويلات متباينة وتعليلات مختلفة ، وفيما يلى عرض لبعض هذه التعليلات[1] :

- **عبادة الطبيعة :** يعلل بعضهم ظاهرة التدين فى عبادة الطبيعة بأن الإنسان الأول لم يكن يفهم دنياه التى يعيش فيها ، لقد كان الكثير من عالم الأرض والكون محجوبا عنه لا يقدر على تصور وجوده فاستشعروا الخوف من الطبيعة ، ولما لم يستطع أن يعلل كثيرا من ظاهراتها المحيطة به اعتبرها ذات حياة مثله ، ثم شعر بأنها أشد منه قوة فكان طبيعيا أن يسترضيها حتى يحصل على المعونة منها أو تمنع أذاها عنه . ومن ثَمَّ أخذ الإنسان الأول فى عبادة ظاهرات الطبيعة ، ثم تنوع مظهر المعبود من عالم الطبيعة ، فتارة تكون الشمس ، وتارة يكون المعبود مسقط ماء أو بركانا إذا كان أحدهما ذا تأثير خاص فى حياة الناس الذين يعيشون فى محيطه . وتارة يكون المعبود بقرة أو جاموسة أو حيوانا آخر إذا كان ذلك الحيوان مما يعول عليه فى بقاء حياة الإنسان .
- **عبادة الروح والأسلاف :** وقد يكون المعبود الروح والأسلاف نتيجة عدم إدراك الإنسان الأول لمعنى الموت والحياة وظنهم أن الذى يموت سوف تعود روحه ، ولعل الرؤى والأحلام قد سيطرت على بعض الناس كتفسير لظاهرة التناسخ فعبدوا الأرواح ، على أساس أن روح السلف تحوم حول الناس ، وتبعا لهذا نشأت فكرة انتقال الأرواح : أى دخول روح شخص ميت فى جسد من الأجساد المعبودة .
- **عبادة النصب :** تفسر عبادة النصب بأنها خليط من الديانتين السالفتين : عبادة الطبيعة وعبادة الأرواح ، غير أنها عبادة متوجهة إلى التشبيه بالإله ،

---

(١) رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، ص ٩-١٢ .

أو بما يعتبر معبودا ، وقد يحمل هذا التشبيه من مكان على أنه طلسم وكثيرا ما يسمى صنما ، وما الأصنام إلا نصب .

- **عبادة كائن أعلى** : يعلل لهذه العبادة بإهمال العقل البشرى قديما للبحث عن الأسباب والعلل للظواهر الطبيعية والإيمان بقوى غيبية تفعل كل ما يحدث ويشاهد من براكين ورعد وبرق وعواصف وزلازل ... إلخ .

والخلاصة أن التعليلات التى جرت لتفسير ظاهرة التدين من قبل بعض الفلاسفة لا تخرج عن كونها مجرد افتراضات لا يمكن الحكم عليها بالتعميم ونكتفى بقول الأستاذ الدكتور العلامة محمد عبد الله دراز عن التدين بأنه « شوق غريزى إلى الأزلى الأبدى ، وهو الطلب الحثيث للكلى النهائى ، وهو عنصر ضرورى لتكميل قوة الوجدان ، فالعواطف النبيلة من الحب ، والشوق ، والشكر ، والتواضع ، والحياء ، والأمل . . إلخ إذا لم تجد صناعتها المنشودة فى الأشياء ولا فى الناس وجدت فى موضوع الدين مجالا لا تدرك غايته ومنهلا لا ينفد معينه » .

وأخيرا فالتدين هو العنصر الضرورى لتكميل قوة الإرادة يمدها بأعظم البواعث والدوافع ، ويدرعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط ، ومبعث هذا التدين ليس الخوف من الطبيعة ولا اعتقاد حلول الأرواح ، ولا الفيتشية كما عبر ذلك فلاسفة الغرب ، ولكنه الوحى الإلهى على حد ما وضعه الدكتور محمود حسب الله فى كتابه « الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية » .

ثالثا : خصائص الدين الإسلامى

بما أن الدين الإسلامى هو الدين الخاتم فقد تفرد بمجموعة من الخصائص نشير إليها فيما يلى :

- أقر فطرية التدين وأصالته فى النفس الإنسانية ، فالبشرية فى نظره مفطورة على التوحيد وعبادة الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأن الشرك والوثنية أمور عرضت للعقيدة ، وانحرافات طارئة عليها قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٧٢) ، وقال سبحانه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠) ، ويصور لنا النبى ﷺ ذلك فى الحديث الشريف : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1] أن الإنسان يولد بفطرة إيمانية تلك هى فطرة التوحيد والإسلام والانقياد والطاعة لله تعالى .

- عالميته فى التدين ، فقد ارتضاه الله للبشرية جمعاء ، وأقامه على نظام ربانى يقوم على أسس ومبادئ نبيلة وسامية ، غايته الواضحة والمحددة إصلاح البشرية جميعا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩) ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران:٨٣) ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥) .

- تزكيته للنفس الإنسانية وتطهيرها من الرذائل والفساد ، وكل ما يبعدها عن الله عز وجل ، ولعل فى قول جعفر بن أبى طالب للنجاشى ملك الحبشة ما يصور لنا طرفا من الإصلاح الدينى الذى جاء به الإسلام للنفس الإنسانية

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحة ، كتاب القدر ، باب الله أعلم ، بما كانوا يعملون ، ١٤٤/٤ ، طبعة المكتب الثقافى ، وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ ، كتاب الجنائز ، جامع الجنائز حديث ٥٧١ عن أبى هريرة .

حيث يقول: «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، وكنا كذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج...»[1].

- تعريف الإنسان بالغاية التى من أجلها خلقه الله، والتى أصبحت الإنسانية كلها تقصد إليها، وهى عبادة الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)، وفى ممارسة شعائره تربية للضمير (الوازع الدينى) الذى يتكون لدى المسلم نتيجة تمكن العقيدة فى نفسه، وإلزامه المستمر بتعاليم دينه الحنيف وممارسة شعائره، والضمير يعد بمثابة الحائل بين الإنسان وبين نوازع السوء والضلال، فصاحب الدين يشعر دائما بمراقبة الله له فى رقيب داخلى يحاسبه على كل كبيرة وصغيرة، ومن ثَمَّ فهو لا يحتاج إلى رقابة خارجية قال ﷺ فى الحديث الشريف «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

- أقر حرية التدين لدى الفرد، ولم يكن ذلك معروفا من قبل، قال تعالى:

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، قدم وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد، ١/١٩٠-٢٩١، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه، ١/١١٤، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة عن أبى هريرة رضي الله عنه ط. المطبعة السلفية، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، وأخرجه مسلم فى صحيحه ١/٣٩، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان عن أبى هريرة، ط. عيسى الحلبى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (البقرة:٢٥٦) وقال تعالى مخاطبًا رسوله بأن يقول للمشركين ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون:٦) ، والسر فى هذا ثقة الإسلام بنفسه ، فلا تضره العقائد الأخرى فى ظهورها وممارسة شعائرها ما لم يكن هناك عدوان على الإسلام نفسه أو على المسلمين .

وقد بلغ الإسلام غاية السمو حين قرر هذه الحرية لكل الناس مسلمين وغير مسلمين ، ولم يكتف بإعلان هذه الحرية ، إنما قرر حمايتها فألزم الناس أن يحترموا حق الغير فى اعتقاد ما يشاء ، وفى تركه يعمل طبقًا لعقيدته ، كذلك ألزم صاحب العقيدة نفسه أن يعمل على حماية عقيدته ، وإذا عجز عن ذلك تحتم عليه أن يهاجر إلى مكان آخر يحترم أهله عقيدته ، ويمكنه فيه إعلان ما يعتقده [1] قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (النساء:٩٧-٩٩) وليس أدل على إقرار الإسلام لحرية التدين من أن النبى ﷺ وخلفاءه أعطوا الحرية لغير المسلمين أن يعلنوا دينهم كما يشاءون ومذاهبهم وعقائدهم كما يحبون ، وأن يباشروا طقوسهم الدينية ، وأن يقيموا المعابد والمدارس بإقامة دينهم ودراسته دون حرج عليهم ، بل أباح لهم المصطفى ﷺ أن يكتبوا عن عقيدتهم ما يشاءون وأن يقارنوا بينها وبين غيرها من العقائد الأخرى فى حدود النظام العام والأخلاق الفاضلة [2] .

---

(١) عبد الغفار محمد عزيز وآخرون : أضواء على النظم والثقافة الإسلامية ص ١٩٠ ، القاهرة : مؤسسة الوفاء للطباعة ، ١٩٨٢م .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١.

- تحقيق التوافق النفسى للفرد ، ويقصد بالتوافق النفسى أن تكون النفس الإنسانية بمكوناتها ونزعاتها وميولها فى توافق وانسجام لا فى تعارض وتصارع وتضاد ، فمن المعروف أن النفس الإنسانية ليست شيئًا بسيطا إنما هى مركب معقد ، تتكون من نزعات ورغبات واتجاهات وميول ودوافع وأفعال وتصرفات مختلفة ، والدين الإسلامى بحكم مبادئه وقيمه وتعاليمه ونظرته الصحيحة إلى الحياة الاجتماعية ، يحقق للمسلمين التوافق النفسى الداخلى والخارجى ، فهو دين الفطرة ، والنفس الإنسانية مفطورة أصلاً على التوافق النفسى الداخلى ، وقادرة على التوافق الخارجى ، وغير ذلك يعتبر حالة طارئة عارضة ، ومن شأن الإسلام كذلك أن يقى نفوس المسلمين من أمراض الاختلال النفسى عندما تصيبهم .

وهو بذلك يحقق التوازن بين العناصر المختلفة التى تتألف منها حياة المسلم الدنيوية والأخروية ، حتى عندما يعالج قضية من قضايا النفس الإنسانية يراعى هذا التوازن والتكامل بين عناصرها المختلفة ، والأمثلة على ذلك شاهدة ، فالصلاة كعبادة عندما يمارسها المسلم يجد فيها إشباعا وإرضاء لجوانب نفسه ، والصوم فيه رعاية متكاملة لمصالح الصائم الدنيوية المتمثلة فى الصحة الجسمية والتخلص من العادات غير المرغوب فيها ، ... إلخ .

وقد انتهج الإسلام فى سبيل تحقيق التوافق النفسى للفرد مجموعة من الأمور منها :

١- أنه رفع من شأن الإيمان بالله الذى يضفى على نفس الفرد أمنا وسلاما ويجعلها تستهين بصعاب الحياة وتحدياتها ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام:٨٢) .

٢- أنه رفع من شأن الإيمان بالقضاء والقدر لأن الإيمان بهما يكسب الإنسان قوة معنوية وشجاعة وإقداما فى المواقف التى تستلزم الشجاعة والإقدام ،

لأنه يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتبه الله وقدره له ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١) .

٣- فتح باب الاستغفار والتوبة والكفارات أمام المخطئ لتخليصه من عذاب الضمير وإنقاذه من الانهيار ووقوعه تحت تأثير مشاعر اليأس ، كما حرص الإسلام على أن يكون ظاهر الإنسان متفقا مع باطنه ، ولا يصح أن يكون منافقا حتى لا يقع فريسة للشك والتردد وضعف الثقة بالنفس التى هى من صفات المنافقين ، كما حرص الإسلام على أن يغرس فى نفس الفرد قيمة الحياء التى تمنعه من أن ينافق أو يرائى أحدا[١] .

٤- تحقيق العدل الاجتماعى لدى كل الشعوب والأفراد ، وتحقيق العدل قيمة من القيم الكبرى التى يسعى الدين إلى تحقيقها فى هذا العالم من أجل خيره وسعادته ، لأن الإنسان فى أصل فطرته الصافية يميل إلى العدل وينفر من الظلم ، ومن هنا فالعدل يعد ضرورة حياتية ، لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة طبيعية بدونه ، ولذلك جاء الأمر بالعدل لمقاومة الظلم صريحًا لا يحتمل التأويل فى القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى في سورة الإسراء :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠) كما جاء فى الحديث الشريف «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[٢] وهذا الأمر الدينى يعزز الجانب الإنسانى الذى

---

(١) أحمد الضوى سعد : بناء برنامج لتطوير محتوى مناهج التربية الدينية الإسلامية للمرحلة الثانوية بالتعليم العام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٤٤ ، ٤٥ بتصرف كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٨م .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١٩٩٤/٤ ، ١٩٩٥ ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم عن أبى ذر رضي الله عنه .

يرتكز على الطبيعة الإنسانية النقية التى تميل إلى العدل وتنفر من الظلم ، والظلم من الأمور التى يجلبها الإنسان ذاته على نفسه ، فالإنسان حر مختار ، يبين له الدين طريق الخير والشر ، والعدل والظلم ، وعليه أن يختار بنفسه ويقرر بمحض إرادته أى طريق يختار ، وعليه - أيضًا - أن يتحمل نتائج اختياره ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة:٧،٨) ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:٤٦) .

والعدل فى نظر الإسلام لا يتجزأ ولا يجوز أن يكون منحازا لطائفة معينة أو فريق معين من الناس ، وهذا ما يطالب به القرآن الكريم فى صراحة تامة ووضوح كامل من خلال الوصايا القرآنية الأربع التالية[1] :

الوصية الأولى :

ينبغى على الإنسان أن يلتزم بالعدل حتى فى حالة ما إذا كان الأمر يتعلق بشخصه أو والديه أو أقاربه ومحبيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء:١٣٥) .

الوصية الثانية :

ينبغى الالتزام بالعدل بين الناس بصرف النظر عن وضعهم الاجتماعى من حيث الغنى أو الفقر أو الجاه والنفوذ ، ولا يجوز أن يكون لذلك أى تأثير على قراراتنا قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا

---

(١) محمود حمدى زقزوق : الإسلام وقضايا العصر العدل والسلام وحقوق الإنسان ، قضايا إسلامية (١٠) سلسلة يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٩٦م .

﴿ حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (النساء:٥٨) . وقد ثبت أن أسامة ابن زيد قد تشفع فى أمر العفو عن المرأة المخزومية ، وكانت من أسرة لها مكانتها فى المجتمع ، وقد رفض النبى ﷺ ذلك رفضًا قاطعا مؤكدا ضرورة أن يطبق على الجميع معيار واحد بصرف النظر عن أى اعتبار آخر قائلا . . « إن من كان قبلكم إذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، وإذا سرق فيهم القوى تركوه ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[1] .

الوصية الثالثة :

ينبغى الالتزام بالعدل وعدم السير وراء الأهواء والميول أو الأنانية أو الخوف من أصحاب النفوذ أو مشاعر الكراهية إزاء بعض الناس أو بعض الجماعات قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨) .

الوصية الرابعة :

يتحتم معاملة كل الناس من حيث المبدأ بالعدل والمودة إلا فى حالة ما إذا حاربونا بسبب الدين ، أو أخرجونا من ديارنا ، أو ناصروا أعداءنا ضدنا ، وتلك حالة استثنائية تزول بزوال أسبابها ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٩).

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ٧/٧٨-٨٨ كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر أسامة بن زيد ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣/١٣١٥ ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة فى الحدود عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ .

٥- نشر الأمن والسلام بين الأفراد والمجتمعات ، والسلام فى نظر الإسلام يعد عملا من أعمال الإنسان ، وفى الوقت نفسه يعد نعمة من نعم الله على البشر ، وقد وصف الله نفسه فى القرآن الكريم بأنه السلام ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ (الحشر:٢٣) ، ودعا الناس إليه كما فى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس:٢٥) وهذه الدعوة موجهة إلى الناس بوصفهم أفرادًا ، كما هى موجهة إليهم بوصفهم جماعات ، فالسلام يمنح الإنسان سلامة النفس وطمأنينة القلب ويهيئ للجماعات البشرية الاتحاد والترابط فيما بينها ، ومعروف أن العقيدة الدينية الإسلامية تهيئ للإنسان المناخ الذى يستطيع فيه أن يتواءم مع ذاته ومع العالم الذى يعيشه فيه ، فالإسلام فى حقيقته يعنى إسلام الوجه لله ، وبهذا التوجه يكون المسلم قادرا على أن يسلك الطريق إلى تحمل مسئولياته وأداء واجبه الحقيقى ، والعقيدة الدينية تجعله واثقا من العون الإلهى ، ومن هنا يكون قادرا على تذليل الصعاب ، والانتصار على العقبات ، ويكون قادرا أيضًا على البناء والتعمير والتفكير المبدع والعمل الخلاق ، وصنع الحضارة ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى تحقيق السلام»[(١)] .

٦- الاستناد إلى مبدأ المساواة على أساس وحدة الجنس البشرى فى المنشأ والمصير ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١) وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ (المرسلات:٢٠-٢٣) فالكل سواء أمام الله

---

(١) محمود حمدى زقزوق : الإسلام وقضايا العصر العدل والسلام وحقوق الإنسان ، ص٣٤-٣٦.

تعالى من حيث المبدأ، وما يترتب على هذه الوحدة لا بد أن يكون واحدا، فالناس يتساوون فى الأخذ عن الله والخضوع جميعا لما شرعه الله .

كما يقرر الإسلام المساواة فى الحقوق والواجبات أمام الله تعالى والقانون فلا قيود ولا استثناءات ، وإنما مساواة تامة بين الجماعات ومساواة تامة بين الأفراد ، ومساواة تامة بين الأجناس ، ومساواة تامة بين الحاكمين والمحكومين ، ومساواة تامة بين الرؤساء والمرءوسين قال ﷺ : «الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» ، وقد كان النبى ﷺ مثالاً لذلك ، حيث أصدر القرآن الكريم أمره قائلا : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف:١١٠) ، كما حكى عنه قوله ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء:٩٣) . كما قرر الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة فى أمور محددة هى كما يلى [١] :

أ- فى أصل الخلقة وفي القيمة الإنسانية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣) .

ب ـ فى الثواب والعقاب الإلهى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧) .

ج ـ فى المسئولية الجنائية : بنص القرآن الكريم في قضية السرقة ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٨) .

---

(١) عبد الحى الفرماوى : صحوة فى عالم المرأة ص ٩٨ ، القاهرة : مكتبة التراث الإسلامى ، ١٩٨٤م .

د ـ التأكيد على الأخوة ، والدعوة إليها ، والأخوة المؤمنة عمادها البر والرحمة وهى بذلك لا تشوبها شائبة الاستعلاء ، فالجميع أخوة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:١٠) والأخوة نابعة من الإرادة الحرة ، وابتغاء وجه الله دون اعتبار آخر ، وهى تصدر عن نفس قوية لا تعرف لغير الله إسلاما ، ولا تضعف ولا تتهالك باسم الورع أو التقوى ، ولا يتسرب إليها خوف أو وهن إلا عن معصية ترتكبها أو إثم تقترفه ، وهذا الإخاء يجعل الإنسان يعترف بحق أخيه الإنسان فى الحياة والوجود ، وهذا يحول الإنسان من أنانى جامح تتحكم فيه أنانيته إلى مشارك لغيره فى الحياة ، وللإخاء فى الإسلام التزامات منها : رد الغيبة عن الغير حتى ولو كان ما يقال عنه حقا ، والأمن على النفس والعرض والمال للآخرين قال ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » [1] .

هـ ـ احترام العهود والوفاء بالالتزامات إلى درجة تصل إلى حد اعتبار الإخلال بالعهود مبطلا للأعمال الصالحة ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل:٩١) . كما يضع القرآن الكريم الوفاء بالعهود فى أعلى الدرجات فيعد المؤمنين الموفين بعهدهم أحسن العواقب قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى فى سننة ٣٢٥/٤ كتاب البر باب فى شفاعة المسلم على المسلم عن أبى هريرة ، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن ، طبعة مصطفى الحلبى تحقيق إبراهيم عطوة ، وأخرجه ابن ماجه فى سننه ١٢٩٨/٢ ، كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله عن أبى هريرة ، ط عيسى الحلبى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد: ٢٠-٢٣) .

و ـ تحقيق الوحدة الإنسانية من خلال التكافل الاجتماعى الذى يعنى أن يتساند المجتمع أفراده وجماعاته بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة ، ولا تذوب مصلحة الفرد فى مصلحة الجماعة ، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته ، وللجماعة هيبتها ومكانتها ، فيعيش الأفراد فى كفالة الجماعة ، كما تكون الجماعة متلاقية فى مصالح الأفراد والآحاد ودفع الضرر عنهم[1]. قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(المائدة:٢).

من خلال العرض السابق الذى يوضح نظرة الإسلام إلى الإنسان وخصائص التدين الصحيح الذى ينشده الإسلام من أفراده ، والتى أوضحت تفرده وتميزه عن الديانات الأخرى الوضعية والسماوية ، يؤكد ذلك المكانة السامية التى أوقف الله الإنسان عليها من أول أمره فى الحياة بتكريمه وتفضيله على سائر المخلوقات فى هذا الكون ، ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء: ٧٠) .

ومن مظاهر هذا التكريم الإلهى أن الله خلق الإنسان فى أحسن صوره ، وفى أحسن تقويم ، وميزه بالعقل والكلام على سائر المخلوقات ، واختاره ليكون

---

(١) على خليل مصطفى أبو العينين : فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم ص١١٠ ، المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم الحلبى ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م .

خليفة فى الأرض وأمكنه منها ، وجعله صاحب سلطان فيها وأمره بعمارتها قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠)

وهذه الخلافة تعبر عن العلاقة بين الإنسان المستخلف ، وبين ربه الذى استخلفه وهى علاقة تمثل الخضوع والطاعة والانقياد والاستجابة لله تعالى ، والسيطرة والهيمنة والاستغلال والتسخير لما فى الكون للإنسان ، ومنحه كثيرا من مفاتيح القوة والطاقة التى أودعها الله تعالى فى هذا الكون ، وجعلها مذللة طيعة مسخرة فى خدمة الإنسان قال سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (لقمان: ٢٠) .

وبهذا يتضح أن الإسلام قد تفرد فى نظرته واهتماماته بالإنسان ورسم له طريق التدين الصحيح ، بحيث تتحقق له الأفضلية على سائر ضروب التدين الأخرى وذلك من خلال منهج تربوى متميز ، وللعلم ما كان يتوافر هذا المنهج ويتواجد إلا ويثمر تاريخا تفردت به التربية الدينية الإسلامية فى عصورها المختلفة ، وأوجد للتربية الإسلامية نظامها وفكرها المستقل .

رابعا : دور التربية الدينية الإسلامية فى تنمية التدين

فى عصرنا الحالى بدت الحاجة ضرورية وملحة للتربية الدينية الإسلامية عن أى وقت مضى نظراً لما نمر به فى هذا العصر من أحداث وتطورات أثرت على المجتمعات الإسلامية ومكانة ووضع الأسرة فيها ، وأوجدت تحديات عديدة أثرت على القيم والأخلاق والتدين بشكل عام . وتنبغى الإشارة إلى أننا

لن نتطرق للحديث هنا عن طبيعة التربية الدينية الإسلامية وخصائصها ومصادرها ومجالاتها ، فذلك سبق الإشارة إليه فى الجزء الأول ولكننا بصدد توضيح دورها فى مواجهة العديد من التحديات المعاصرة وفيما يلى عرض لهذه التحديات :

(١) تغلب الجانب المادى :

حيث أدى التطور المادى المذهل فى شتى ميادين الحياة إلى اختلال منظومة القيم فى المجتمع ، وطغت المادية على حياة الناس بصورة أثرت فى سلوكياتهم لدرجة أن البعض أطلق عليها أزمة سلوك أصابت الشخصية المصرية ، وأدت إلى حدوث اختلال فى البناء القيمى للمجتمع المصرى وتمثلت صوره فى أشكال متعددة منها : « العزوف عن العمل ما دام الدخل مضمونا بغيره ، والاستخفاف بالإتقان ، فضلا عن الجوانب الأخرى المدمرة مثل الرشوة ، والاختلاس ، والانحراف ، والاغتصاب ، والقتل ، والسرقة بالإكراه ، والإدمان ، والعنف ، والتطرف ، والإرهاب . . . إلخ .

إن ثمة عوامل أخرى نتجت عن تغلب الجانب المادى على سلوك الفرد ، وشاركت فى إفراز هذه الجرائم ومنها :

- **الاغتراب** ، اغتراب الآباء عن الأبناء ، والعزل الوجدانى العاطفى والفكرى للأبناء بسبب الانصراف غير المقبول إطلاقا من الآباء عن أبنائهم ، نتيجة الفهم القاصر ، بأن أقصى ما يحتاج إليه الأبناء هو احتياجات مادية ، ولذلك يقضى الآباء كل أوقاتهم فى العمل أو يسافرون خارج البلاد سنوات كثيرة ، وكم أدى هذا إلى مشكلات اجتماعية خطيرة ، أقربها ما كشفت عنه أجهزة الأمن منذ سنوات من انزلاق مجموعة من الشباب فى فكر « عبدة الشيطان » .

- **التفكك الأسرى :** الناتج عن عمليات الطلاق ، أو الانفصال بين الزوجين ، أو حتى مشاكل وخلافات مستمرة بين الأبوين .
- **التطاحن المادى :** والجرى وراء المال ، وكأنه لا يوجد شيء دونه ، أو أن الحياة تنتهى بدونه ، وقد أثر ذلك على العلاقات الاجتماعية بين الناس فى انقطاع التراحم بين الناس ، والتكالب الشديد على المادة .

فى ظل هذا الوضع تصبح المسئولية الملقاة على عاتق التربية الدينية كبيرة فى تصحيح الاختلال الحادث فى قيم المجتمع ، وذلك بالتركيز على القيم الإسلامية ، وإكسابها للنشء والتأكيد عليها كالصدق ، والأمانة ، وإتقان العمل ، والمسئولية ، والبر بالآباء والتراحم ، وحقوق الأبناء على الآباء ، وتحرى الحلال فى الكسب والعمل وغير ذلك .

(٢) ضعف دور المسجد :

يمثل المسجد إحدى المؤسسات الهامة للتربية الدينية الإسلامية فى المجتمع بصفة عامة ، ولا يقل الدور الذى يقوم به عن دور الأسرة أو المجتمع أو وسائل الإعلام أو غير ذلك من مؤسسات التربية .

وقد اضطلع المسجد بدور ريادى عظيم على مر التاريخ ، فكان يمثل دورًا للعبادة ومكانًا للتعليم والتثقيف ، ومنبرًا للتوجيه والإرشاد والإصلاح ، ومقرًا لاستضافة الوفود ، ومركزًا لمناقشة القضايا والتشاور حولها ، وبرغم الجهود المبذولة للارتفاع بمستوى المساجد فى المجتمع ، إلا أنها فى حاجة إلى المزيد من الدعم لمواجهة التحديات التى يواجهها المجتمع ، والمتمثلة فى انتشار مظاهر سلبية مثل : المجون والخلاعة والاختلاط والتدخين والإدمان ، واغتراب الشباب ، والتطرف ، واعتناق أفكار الغرب التى تناقض العقيدة الإسلامية كالعلمانية والوجودية والماسونية وعبادة الشيطان ، وهذا الدعم يتمثل فى الارتقاء بمستوى الدعاة وتأهيلهم التأهيل المناسب ، وتحويل المساجد من

دور عبادة إلى مراكز إشعاع وتثقيف ديني واجتماعي وتعليمي وصحي ، تشارك في بناء المجتمع وتساهم في نهضته وتطوره .

(٣) خروج المرأة للعمل :

لا يعني ذلك التقليل من عمل المرأة ، أو منعها من العمل ، لكن أدى خروج المرأة للعمل وغيابها بعض الوقت عن الأسرة إلى تقليل دور الأسرة ـ في أغلب الأحيان ـ في رعاية أبنائها بشكل يحافظ عليهم من الانزلاق في مشاكل الاغتراب والتدخين والإدمان ، ولا يمانع الإسلام من خروج المرأة للعمل ، ومشاركتها في بناء المجتمع وتنميته ، لكنها في نفس الوقت يقدر الدور الواجب أن تقوم به المرأة في تربية أبنائها ورعايتها بشكل يحافظ عليهم ، ويقيهم من الأضرار التي قد تلحقهم ، فقد قال ﷺ في الحديث الشريف : (كُلُّكُم راع ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِه ، الإمامُ راعٍ ومَسؤُولٌ عنْ رعِيَّتِه ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِه وهو مَسْؤُولٌ عن رعيَّتِهِ ، والمرْأةُ راعِيةٌ في بيتِ زوجِها ومَسْؤُولةٌ عن رعِيَّتِها)[1] .

(٤) ضعف الوازع الديني :

أثر الانفتاح الاقتصادي بشكل أو بآخر على القيم في المجتمع ، ونتيجة للرغبة في الثراء السريع ، وملاحقة الطبقات الأرستقراطية ، وتقلد المناصب المرموقة والقيادية في المجتمع ، والتكالب على الالتحاق بمؤسسات المجتمع المتميزة مثل : الشرطة ، ومناصب القضاء ، والنيابة ، ومجلس الدولة . . . إلخ أن ضعف الوازع الديني أدى إلى انتشار الرشوة والمحسوبية والوساطة واستغلال النفوذ ، والسيطرة . . إلخ ، بالإضافة إلى ارتفاع معدلات جرائم السرقة بالإكراه والاغتصاب والقتل .

---

(١) رواه عبد الله بن عمر ، أخرجه البخاري ، حديث رقم : ٨٩٣ .

(٥) شيوع ظاهرة العنف والتطرف :

فى العقود الأخيرة شاعت ظاهرة العنف ، وارتبطت بقضية التطرف وصارت تفرض نفسها بقوة على الساحة وساعد فى ظهورها مجموعة من العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومن العجيب أن أكثر الفئات العمرية تأثرا بأفكار التطرف فئات الشباب فى المرحلة الإعدادية والثانوية وتمثلت مظاهر الفكر الدينى المتطرف فى الآتى :

- التعصب للرأى وعدم الاعتراف بالرأى الآخر ، بل ومحاولة فرض الرأى على الآخرين .
- التزام التشدد دائمًا ، مع قيام موجبات التيسير ، وإلزام الآخرين به حيث لم يلزمهم الله به .
- الغلظة فى التعامل ، والخشونة فى الأسلوب والفظاظة فى الدعوة .
- سوء الظن بالآخرين ، والنظر إليهم من خلال منظار أسود ، يخفى حسناتهم على حين يضخم سيئاتهم .

ويبلغ هذا التطرف غايته حين يسقط عصمة الآخرين ، ويستبيح دماءهم وأموالهم ، ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة ، وذلك حين يتهم جمهور الناس بالكفر والخروج من الإسلام . وقد كشف تقرير الحالة الدينية فى مصر ١٩٩٦م الصادر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام أن عدد حوادث العنف فى مصر فى عام ١٩٩٥م ، بلغت ١٨٢ حادثًا أسفرت عن ٣٣٦ قتيلاً و١٤٩مصابًا [١] . ويتعاظم دور التربية الدينية الإسلامية فى مواجهة هذه الظاهرة بتصحيح المفاهيم والأفكار الخاطئة وبيان جوهر الدين الإسلامى وسماحته وقيمه وفضائله .

---

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، تقرير الحالة الدينية فى مصر ص١٩٠ ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٥م .

(٦) زيادة معدلات التدخين والإدمان :

تؤرق ظاهرة التدخين وإدمان المخدرات المسئولين فى دول العالم المتقدمة والنامية على حد سواء ، وذلك لانتشار هذه الظاهرة بصورة متزايدة فى العالم كله فى الوقت الذى تشكل فيه خطورة بالغة على الفرد وعلى المجتمع ، ويؤكد المتخصصون على وجود ارتباط قوى بين التدخين وإدمان المخدرات حيث تكون السيجارة هى البداية بالنسبة للمتعاطين لكل أنواع المخدرات خاصة فى سن الطفولة المتأخرة ٩-١٤سنة .

وتشير إحصائية حديثة لدراسة أجراها الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء بالتعاون مع معهد الأورام القومى بجامعة القاهرة ونشرتها جريدة الأهرام المصرية فى صدر صفحاتها بتاريخ ١٩٩٧/٦/١٤م أن المصريين يدخنون ٤٠ مليار سيجارة سنويًا يتوقع أن يرتفع هذا الرقم عام ٢٠٠٠م إلى ٨٥ مليار سيجارة سنويًا . كما أشارت الدراسة إلى أن الفاقد الاقتصادى لزيادة معدلات هذه الظاهرة يكلف الاقتصاد المصرى ٢٢مليون جنيه يوميا ، بإهدار يبلغ قيمته ٨٨ مليون يوم عمل و٣ مليارات جنيه سنويًا .

والأخطر ما تشير إليه الدراسة أن أكثر الفئات المهنية تدخينا رجال التعليم التى تصل نسبة التدخين فيهم ٤٥ ٪ يليهم الأطباء بنسبة ٤٢٪ وأن نسبة الإناث بلغت فى هذه الظاهرة بالنسبة للمدرسات ٧٪ ولطالبات الجامعة والطبيبات ٢٪ .

ولا شك أن زيادة معدلات التدخين بهذه الصورة المخيفة يعظم من دور التربية الدينية الإسلامية لمواجهة هذه الظاهرة والتقليل منها لا سيما وأن الإحصائيات الواردة بالدراسة السابقة أشارت إلى تعاطى ٤٣٩ ألف طفل أقل من ١٥سنة ، و٧٤ألف طفل دون العاشرة ، (أى ما يقرب من نصف مليون طفل مدخن) من إجمالى ٦ملايين مدخن .

(٧) زيادة معدلات الأمية :

انتشار ظاهرة الأمية صار يهدد جهود التنمية المبذولة فى المجتمع ، وإيمانًا من الدولة بأهمية مواجهة هذه الظاهرة ، فقد أعلنت مصر اعتبار عقد التسعينيات عقد محو الأمية وتعليم الكبار ، وخططت مصر لحملة قومية لمحو أمية « ٨مليون أمى »[1] فى هذه السنوات العشر من خلال : استيعاب كل الملزمين بالمدارس الابتدائية ، وعلاج ظاهرة التسرب من المدرسة الابتدائية ، وتشجيع الأميين على الالتحاق بفصول محو الأمية .

وتستطيع التربية الدينية الإسلامية أن تسهم فى علاج هذه المشكلة عن طريق تصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة لدى بعض الفئات فى المجتمع ومنها : التعليم مقصور على الرجال دون النساء ، التعليم فى الكبر كالنقش على الماء ، تسرب الأبناء من التعليم وإلحاقهم بالأعمال المهنية والخدمية المختلفة بالإضافة إلى التوجيه والإرشاد إلى أهمية التعليم وحرص الإسلام عليه وأهميته .

* * *

(١) ضياء الدين زاهر : تعليم الكبار منظور استراتيجى ، ص٣٣٨ ط١ ، القاهرة : مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية ، ١٩٩٣م .